الغيبة

وأثرها السيء في المجتمع

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى للطبعة الجديدة

١٤٢٣ هـ

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

سلسلة فقه الدعوة وتزكية النفس (١١)

الغيبة

وأثرها السيء في المجتمع

بقلم
حسين بن عودة العوايشة

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الطبعة الأولى من الطبعة الجديدة

إنَّ الحمْدَ لله، نحمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفِرُه، ونعوذُ بالله من شرور أَنْفُسنا، وسيِّئات أعمالنا، من يَهدِه الله فَلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضْلِل فلا هاديَ لهُ.

وأَشهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدهُ ورَسولهُ.

﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إلا وَأَنتُم مُسْلِمونَ ﴾[1].

﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِنْ نفْسٍ وَاحدَةٍ وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ منْهُمَا رِجَالاً كَثيراً ونساءً واتَّقُوا اللهَ الَّذي تساءلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً ﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَديداً يُصْلِح لَكُم أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(١).

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدْي هدْي محمّد، وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

فهذه الطبعة الأولى من الطبعة الجديدة لكتاب « الغيبة »، أقدّمها لإخواني المسلمين؛ بعد أن أجريتُ عليها بعض التعديلات والتغييرات والتنقيحات، وقُمتُ بحذف ما لزم حذْفه، وشرْح غريب الألفاظ.

أسأل الله ـ تعالى ـ أن ينفع بي ويتقبّل مني، ويجعلني من المخلصين العاملين؛ إنّه سميع الدُّعاء.

---

(١) الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

مقدِّمة الطبعة الأولى

إنَّ الحمْدَ لله، نحمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أَنْفُسنا، وسيِّئات أعمالِنا، من يَهدِه الله فَلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ.

وأَشهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدهُ ورَسولهُ.

وبعد:

تأمَّلْت ألْسنة الناس، فوجدتها ناراً تحرق، وأفاعي تلدغ، ويا لها من ألسنةٍ! تزرع الهموم، وتُثمر الغموم، وتحصدُ الشرور.

فشمَّرْتُ عن ساعد الجدّ، ورُحْت أغتنم الأوقات، وأستفيد من الدقائق واللحظات ـ قدر استطاعتي وجهدي ـ من أجل أن أكتب في اللسان؛ إرضاءً لله ـ تعالى ـ ثمّ ذبّاً عن المسلمين، وشفاءً لصدورهم ـ إن شاء الله تعالى ـ مُبيّناً أخطار اللسان وشروره وأدواءه، وما يجرّ لصاحبه من الخسران والألم والندم والغمّ والهمّ في الدنيا والآخرة، مُوضّحاً العلاج الناجع له إن شاء الله ـ تعالى ـ.

وكَثُرت الأبوابُ، حتى مضت سنوات ولم ينته البحث، وأنا أجاهدُ نفسي في التخلّص من زُحام الأشغال والأعمال.

ويسَّر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأمر، فأنهيتُ البحث، وكتبْتُ عن كلّ حصادِ شرٍّ يفعله اللسان، وسمَّيته: «حصائد الألسن».

ولكنّي رأيت من المناسب إفراد «الغيبة» في بحث مستقلّ، ففعلت، وما توفيقي إلا بالله.

وإنني أتقدّم بالشكر الجزيل لكل من قدَّم يد العون والمساعدة في إخراج هذا البحث، كما أتقدّم بالشكر العميق لشيخي الفاضل محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ فإنّه لم يتأخّر في تقديم ما أحتاجه من مخطوطته النّفيسة «صحيح الترهيب والترغيب»[1] بما يتعلق ببحث الغيبة، كما أنني استفدْت استفادة كثيرة من مختلف كتبه وتحقيقاته في الموضوع، جزاه الله عني وعن المسلمين خيراً.

أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينفعني بهذا العمل، وأن يكون حجَّةً لي لا عليّ؛ إنّه على كل شيء قدير.

---

(١) ثمّ طبع الكتاب ـ بحمد الله تعالى ـ وتوفيقه.

من النُّصوص الدَّالة على تحريم الغيبة

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بعْضاً أيُحبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأكُلَ لَحْم أخيه مَيتاً فكرِهتُمُوه واتَّقوا اللهَ إنَّ اللهَ توَّابٌ رحيم** ﴾[1].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «وقد ورد فيها (يعني: الغيبة) الزجر الأكيد، ولهذا شبَّهها ـ تبارك وتعالى ـ بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ **أيُحبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأكُلَ لَحْم أخيه مَيتاً فكرِهتُمُوه** ﴾؛ أي: كما تكرهون هذا طبعاً فاكرهوا ذاك شرعاً؛ فإن عقوبته أشدُّ من هذا».

وعن المطلب بن عبدالله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الغيبةُ: أن يذكر الرّجل بما فيه من خلفه»[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنّ رسول الله ﷺ قال:

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) أورده السيوطي في «زوائد الجامع» من رواية الخرائطي في «مساوىء الأخلاق»، ورواه مالك بمعناه مرسلاً؛ وانظر «الصحيحة» (١٩٩٢).

«أتدرون من الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذِكْرُكَ أخاك بما يكره»[1].

وعن أبي برزة الأسلمي والبراء بن عازب قالا: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتّبع عوراتهم؛ تتبّع اللهُ عورته، ومن تتبّع اللهُ عورته؛ يفضحه ولو في جوف بيته»[2].

ما هي الغيبة؟

يتّضح لنا مما تقدّم أنَّ الغيبة هي ذِكْرُكَ الرجل بما فيه بما يكره؛ من خلفه.

الإجماع على تحريم الغيبة وأنّها من الكبائر

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير سورة

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٥٨٩.

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٨٣) وابن حبان وغيرهما، وحسّنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «غاية المرام» (٤٢٠) وقال في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٤٠): «حسن صحيح».

الحجرات: «والغيبة محرّمة بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته؛ كما في الجرح والتعديل والنّصيحة».

ويقول القرطبي: «والإجماع على أنّها من الكبائر، وأنّه يجب التوبةُ منها إلى الله ـ تعالى ـ»[1].

قلت: وهذا بَيِّنٌ واضح من خلال قوله ـ سبحانه ـ: ﴿أيُحبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأكُلَ لَحْمَ أخيهِ مَيتاً فكرِهتُمُوه﴾[2].

ومن الأدلّة على ذلك في السّنّة قوله ﷺ: «... وإنّ أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»[3].

وقوله ﷺ لعائشة: «لقد قُلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزَجته»[4].

---

(١) راجع ـ إن شئت ـ «تفسير القرطبي» سورة الحجرات.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣، ٤) سيأتي تخريجهما ـ إن شاء الله ـ.

كيف لُبِّس على الناس في الغيبة؟

إنَّ الشيطان قد يأتي الناس من طرق كثيرة؛ ليوقعهم في الغيبة:

* فيقول لبعضهم: إنّ الذي تذكرونه من الصفات موجود بمن تذكرونهم من خلفهم؛ فهذا لا شيء فيه.

ويرَدُّ على ذلك أحاديث منها:

١ـ الحديثان المذكوران آنفاً:

الأول: «الغيبة: أن تذكر الرجل بما فيه من خلفه».

والثاني: حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذِكرُكَ أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إنْ كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول؛ فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّهُ».

٢ـ ما جاء في حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت العرب يخدم بعضها بعضاً في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما، فاستيقظا ولم يهيىء لهما

طعاماً، فقال أحدهما لصاحبه: إنّ هذا ليوائم[1] نوم بيتكم. فأيقظاه، فقالا: إيت رسول الله ﷺ، فقل له: إنّ أبا بكر وعمر يقرئانك السلام وهما يستأدمانك. فقال: قد ائتدما. ففزعا.

فجاءا إلى النّبيّ ﷺ، فقالا: يا رسول الله! بعثنا إليك نستأدمك، فقلت: قد ائتدما؛ فبأيّ شيء ائتدمْنا. قال: بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده؛ إنّي لأرى لحمه من أنيابكما (وفي رواية: ثناياكما). قالا: فاستغفر لنا. قال: هو فليستغفر لكما»[2].

فليحذر كثير من الناس ممن يأتدمون ولا يبالون.

يقول أحدهم: ما أكثر ما يغتسلُ فلان! ما أكثر ما يأكلُ! ...

---

(١) قيل: «الموايمة: الموافقة، ومعناه: إنّ هذا النّوم يُشبه البيتَ، لا نوم السفر؛ عابوه بكثرة النّوم» اهـ.

«إنّ هذا ليوائم نوم بيتكم»: متحقّق بمن قيل فيه، ومع ذلك أخبرهُما ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنّهما قد ائتدما من لحمه.

(٢) أخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» بتحقيق شيخنا ـ رحمه الله ـ.

* وطائفة تقول: نحن نذكر ما فيه من خلفه لصالحه ولمنفعته التي يجهلها، وربما قال بعضهم: نفعل ذلك حرصاً على المصاحة العامّة.

والردّ على هؤلاء من وجوه منها:

١ـ إنّ العمل الذي يُعمل ينبغي أن يكون مشروعاً، ولا يكفي للنّجاة من عذاب الله ـ تعالى ـ أن يحسن المرء نيّته وحدها ويتْرك ما سوى ذلك؛ فالمشركون ـ كما يزعمون ـ كانت نواياهم طيبة، وجاء بيان هذا في القرآن العظيم؛ فقد قال الله ـ تعالى ـ في حقّ المشركين: ﴿**والذين اتَّخَذُوا من دونِهِ أوْلِياءَ ما نَعْبُدُهم إلاَّ ليُقرّبونا إلى الله زُلْفى**﴾[1].

بيْد أنّ تلك النّيّة الطّيّبة النّبيلة ـ وهي التقرُّب إلى الله زلفى ـ لم تكن لتمنع رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ـ رضي الله عنهم ـ من قتالهم.

وتحقيق مصلحة الفرد والجماعة لا تكون بغيبتهم ونشر أسرارهم.

٢ـ لو كانت النيّة صادقة حقّاً؛ لصَدق العمل والأسلوب.

---

(١) الزمر: ٣.

ويتمُّ ذلك بالتحدّث أمام الشخص بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمْرِه بالحسنى أن يستجيب لتعاليم الإسلام واجتناب الهوى، وربَّما تكررت النّصيحة والموعظة، فإنْ لم ترَ نفعاً من هذا؛ فابحث عن ناصح آخر، فلعلك لم تُوفَّق في الأسلوب والطريقة، وليتخيّر من الأساليب النافعة الطيبة ما يلائم الحاجة ويراعي الحال؛ فقد يكون التوجيه بأسلوب مباشر أو غير مباشر، فإن لمسْتَ أنّ صاحب العيب لم يترك عيبه وذنبه، فما عليك إلا أن تترك هذا الرجل الذي أسرَّ ذنبه، ولا تفضح أمره، وإلا تفعل؛ حققت كثيراً من الفتن في المجتمع الإسلامي؛ منها:

أ- مخالفة النُّصوص الآمرة بالستر.

ب - التسبب في تعميم الشك، وتعميقه في خُلق المسلمين، وعدم الثّقة بخيارهم.

ج - اشتغال المسلمين بغيبة بعضهم بعضاً، وانتشار الأحقاد بينهم، وانشغالهم عن العمل بالأولويّات التي تفرِّج كروبهم وكروب الأمة.

د - تشجيع صاحب العيب والذنب المُسِرِّ بذنبه على

المجاهرة.

٣ـ إنّ كل ذي لبٍّ يُقِرُّ أنّه لا يمكن أن تنتفع جماعة المسلمين من غيبة شخص يستخفي بعيبه.

وأيّ فائدة تتحقق للجماعة من التكلُّم على إنسان يُسِرُّ بذنبه ويستخفي بعيبه؟!

أيُّ جدوى تأتي لأمة الإسلام؟! فتح القدس؟! أم تحطيم الشرك والمشركين؟!

٤ـ بالإضافة إلى فشل تحقيق الأهداف النّبيلة والمقاصد السامية المزعومة ـ شخصيةً كانت أو عامّة ـ! فإنّ هذا الشخص ربما أضحى يبغض هؤلاء الذين نالوا منه في غيبته، فأصبحت الحالةُ كما قال الشاعر:

لا نسبَ اليوم ولا خُلّة اتَّسعَ الخرقُ على الراقع

من الأسباب الباعثة على الغيبة[1] وعلاجها

١ـ تشفّي الغيظ؛ بأن يجري من إنسان في حقّ آخر

---

(١) عنوان (من الأسباب الباعثة على الغيبة)، والنقاط المتضمّنة له من (١ ـ ٧) من كتاب «إحياء علوم الدين» بحذف وتصرّف =

سبب يهيج غيظه، فكلّما هاج غضبه؛ تشفّى بغيبة صاحبه.

وعلاجه أن يتذكّر الإنسان قوله ـ تعالى ـ: ﴿وسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ من رَبِّكُمْ وجنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ والأرضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذين يُنْفِقُونَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكاظِمِينَ الغَيْظَ والعافِينَ عن النَّاس واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾[1].

عن معاذ بن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من كَظَم غيظاً، وهو قادر على أن يُنْفِذَهُ؛ دعاه الله ـ سبحانه ـ على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يُخيره من الحور العين ما شاء»[2].

= يسيرين، وانظر «تهذيب موعظة المؤمنين من أحياء علوم الدين» للعلامة القاسمي ـ رحمه الله ـ (٢/ ٣٤). أما علاجها؛ فلم تخلُ استفادتنا من كتابه، ولكن رأيت إضافة بعض النّقاط والنّصوص والشّروح التي لم يكن ذَكَرها.

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٣٩٩٧) والترمذي وابن ماجه، وحسّنه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح =

ومن اغتاب تشفّياً؛ فإنّه لم يكتم ولم يكظم غيظه.

٢ـ موافقة الأقران ومجاملة الرفّقاء ومساعدتهم؛ فإنّهم إذا كانوا يتفكّهون في الأعراض؛ رأى أنّه إذا أنكر عليهم أو قَطَع كلامهم؛ استثقلوه، ونَفروا عنه، فيساعدهم ويرى ذلك من حُسْنِ المعاشرة.

وعلاجه أن تتذكّر قول رسول الله ﷺ: «من التمس رضى الناس بسخط الله؛ وكَلَهُ الله إلى الناس»[1].

٣ـ إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل، وفهمه ركيك ... ونحو ذلك، وغرضه أن يثبت من ذلك فضْلَ نفسه، ويريهم أنه أعلم منه.

وعلاج ذلك أن تعتقد أن ما عند الله ـ سبحانه ـ خير وأبقى، وأنَّ هذه الدنيا لا تعدلُ عند الله جناح بعوضة، وأنّ هذا العبد ربّما كان عند الله أفضل منك؛ كما في حديث:

= الترغيب والترهيب» (٢٧٥٣).

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي وغيره، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٥٠)، وانظر تخريج «الطحاوية» (٢٧٨).

أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «ربَّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبَرَّهُ»[1].

٤ـ اللعب والهزل: فيذكر غيره بما يُضحكُ الناس به على سبيل المحاكاة، حتى إنّ بعض النّاس يكون كَسْبُهُ من هذا[2].

وعلاج هذا أن يتذكَّر المرء حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويلٌ للذي يحدِّث بالحديث ليُضحِكَ به القوم فيكذِب، ويلٌ له، ويلٌ له»[3].

٥ـ الحسد: ولربما أُثني على شخص في مجلس، وهذا الشخص محبوب عند الناس، فسمع حاسدٌ بذلك؛ فلا يجد

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٦٢٢.

(٢) وأعنف من هذا وأشدّ ما في عصرنا الحاضر؛ من المسرحيَّات، والتمثيليّات التي تُعْرض في كثيرٍ من الأجهزة، والتي عمّت وطمّت، وهي حياة الناس التي لا غنى لهم عنها، فإلى الله ـ تعالى ـ المشتكى.

(٣) أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهما، وحسنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٤٤)، وانظر «غاية المرام» (٣٧٦).

سبيلاً إليه إلا أنْ يقدح فيه، حتى يفقد ذاك الشخص تلك المنزلة التي كان يحظى بها.

وقد تكلمتُ عن العلاج في باب كتابي «حصائد الألسن» باب «أمراض يعاني منها الحاصدون بألسنتهم».

وليتذكّر الحاسد أنّه بحسده وطعْنه المحسود؛ جعل هذا المحسود فوقه يوم القيامة، لا في الدنيا فحسب.

٦ـ أن يُنْسبَ إلى رجل شيء ما، فيريد أن يتبرّأ منه، فيذكر الذي فعل هذا الفعْل، لينجو من هذه التهُّمة؛ ظنّاً منه أنّ هذا هو السبيل الأمثل، أو يذكر غيره بأنّه كان مشاركاً له في الفعل؛ ليمهِّد بذلك عُذْر نفسه في فعله، فيقول: فلان أيضاً فعل كذا وكذا، وفلان أيضاً ...

وكان من حق هذا الشخص أن يُبرِّىء نفسه، ولكن ليس من حقه أن يذكر الذي فعله، أو يذكر من شارك بالفعل.

٧ـ ومثله الغضب لله ـ تعالى ـ فإنّه قد يغضب شخص على منكر قارفه إنسان، فُيحدِّث[1] بذلك؛ مُظهراً غضبه،

(١) لا ينبغي أن يذكر اسمه إلا إذا كان هناك ما يستدعي ذلك، انظر: (ما يباح من الغيبة).

ذاكراً اسمه، وكان عليه أن يُخفي اسم الشخص، ويستره، ولا يذكره بالقبيح.

٨ـ أن يغتمَّ شخص لابتلاء أخيه، فيفعل المغتمُّ ما ذكرته في الحالتين السابقتين؛ مِن ذكر اسمه قائلاً: مسكين فلان، قد غَمَّني أمره وما ابْتُليَ به!

وقد يكون صادقاً في دعواه تلك، لكنّه يُعاب على ذكر اسم ذلك الرجل المقصود.

وعلاج ذلك أن تتذكّر قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذرَّةٍ خيراً يره ومن يعمل مِثقال ذرَّةٍ شرّاً يره** ﴾[1].

فكم من ذرَّات الشر تتجمَّع فيمن يغتاب المسلمين، والنّيّة الحسنة لا تُسوِّغ العمل السيىء كما سبق بيانه؛ فهذا مأجور على نيّته، آثم على عمله.

٩ـ كثرةُ الفراغ، والشعور بالملل والسأم، فلا يجد ما يشغل به نفسه سوى اشتغاله بالناس وعيوبهم وذِكْر ما يكرهون.

وعلاجه أن يقضي المرء أوقاته في الطاعات والعبادات،

---

(١) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

والعلم والتعلم، وليتذكّر قول رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربّه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره؛ فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما عَلِم؟»[1].

١٠ـ التقرّب لدى أصحاب الأعمال والمسؤولين عن طريق ذمّ العاملين معه، وذلك ليرتقي إلى منصب أفضل، أو درجة أرفع، أو ليُذكر بخير.

وعلاجه أن يتذكر المسلم آيات وأحاديث الرزق، وأنه لن يناله ضرر أو نفع إلا بإذن الله ـ سبحانه ـ والإيمان بالقدر أساس في علاج هذا الدّاء.

ثمَّ إنّني أُذكّر هؤلاء بحديث رسول الله ﷺ: «ومن الْتَمَسَ رضى الناس بسخط الله؛ وكَلَه الله إلى الناس»[2].

١١ـ العُجْبُ، وعدم التفكُّر في عيوب النفس.

---

(١) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (١٩٦٩) وغيره، وانظر «الصحيحة» (٩٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي وغيره، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٥٠)، وتقدّم.

وعلاجه ضدّه، وهو التفكُّر في عيوب النّفس، واشتغاله بإصلاحها، واستحياؤه من أن يعيب أحداً وهو نفسه معيب.

وقد ذمّ رسول الله ﷺ العجب، فقال: «لو لم تكونوا تذنبون، خشيت عليكم أكثر من ذلك: العُجب»[1].

تأمّلات في أحاديث ترهِّب من الغيبة

* عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في حَجَّة الوداع: «إنّ دماءَكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام عليكم؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلّغ الشاهد الغائب»[2].

فلننظر بتدبر وتمحص، ولننظر بعين الرهبة والتعظيم لأوامر الله ـ سبحانه ـ وأوامر رسول الله ﷺ.

إنّ حرمة الغيبة عند الله ـ تعالى ـ كحرمة يوم النّحر، في

---

(١) أخرجه البزّار بإسناد جيّد وغيره، وحسنه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٢١)، وانظر «الصحيحة» (٦٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: ٦٧، ومسلم: ١٦٧٩.

شهر ذي الحجة، في منى.

فهل علِمْتُم مدى حرمة عرض المسلم يا أصحاب الغيبة؟! هل علمتم هذا يا آكلي لحوم المسلمين؟!

* عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا اثنان وسبعون باباً: أدناها مثل إتيان الرجل أمّه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عِرض[1] أخيه»[2].

الله أكبر! أين العقول؟!

الله أكبر أين الإيمان الذي يعمُرُ النّفوس؟!

أين الإيمان الذي يمنع حظوظ النفس وشهواتها؟!

أين الإيمان الذي يمنع الاستطالة في أعراض المسلمين؟!

ما أعظم حرمة الربا! وما أشدَّها!

لقد بلَغ من عظيم أمره أن جعل الله ـ تعالى ـ الإيذان

---

(١) العرض: موضع المدح والذم من الإنسان. «النهاية».

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥٧)، وانظر «الصحيحة» (١٨٧١).

بالحرب على منْ يتعامل به.

إن أدنى الربا مثل إتيان الرجل أمّه، ولكنَّ أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه؟! أفلا تعقلون؟!

فاستطيلوا في أعراض إخوانكم بعد هذا كيفما تشاؤون.

استطيلوا في أعراضهم كما يحلو لكم.

استطيلوا في الأعراض؛ غيبةً ونميمةً، قدحاً وانتقاصاً، وانتهاكاً.

ولكن ... أين المفرّ؟!

* عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت للنّبيّ ﷺ: حسبك[1] من صفيّة كذا وكذا. (قال بعض الرواة: تعني أنها قصيرة). فقال: «لقد قُلتِ كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته[2]»[3].

---

(١) أي: كافيك.

(٢) أي: لَخَلَطته.

(٣) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٨٠) والبيهقي، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «غاية المرام» (٤٢٧).

« كلمة: لو مُزجت بماء البحر لمزجته »!!

كلمة واحدة تفعل هذا الفعل وتؤثّر هذا التأثير!!

فما أدراك بما يفعله المغتابون اليوم وألسنتهم لا تكلّ ولا تملّ مما يفعلون؟!

أيّ بحارٍ تمزج كلماتُهم لو مُزجت بها؟! وأي مياه تُنتِن؟! وأيّ طيب عيشٍ يُفسِدون؟!

* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه: أنّهم ذَكَروا عند رسول الله ﷺ رجلاً، فقالوا: لا يأكل حتى يُطْعَم، ولا يَرحل حتى يُرحلَ له. فقال النّبيّ ﷺ: اغتبتموه. فقالوا: يا رسول الله! إنّما حدّثنا بما فيه. قال: حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه »[1].

ليتفكّرْ كُلٌّ مِنّا في نفسه: من منّا أوتي العصمة؟! من منّا أسلم قرينه؟! من منّا قد حُمي من الخطأ والزّلل والذنب والعيب؟! من منّا يرضى أن يذكر بما فيه؛ على عُجَره وبجره،

---

(١) أخرجه الأصبهاني، وحسنه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في « صحيح الترغيب والترهيب ».

خيره وشرّه؟!

يقيمُ الإنسان منّا الشرور لو سمع إنساناً لَمَّحَ ولم يصرّح بصفة هي فيه؛ فكيف لو صرّح ووضح؟! وكيف لو ذكر كُلَّ ما فيه من خلفه؟!

* عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا عُرج بي؛ مررتُ بقومٍ لهم أظفار من نحاس؛ يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويَقعون في أعراضهم»[1].

أين ذهبت عقول هؤلاء المغتابين؟! كيف بهم ينهشون أعراض المسلمين ويأكلون لحومهم وهم يسمعون هذا الحديث؟!

فليبشروا بأظفار من نحاسٍ يخمشون بها وجوههم وصدورهم.

إنّها أظفارٌ فاقت أظفار الوحوش الضّارية؛ ليزدادو عذاباً؛

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٨٢) وغيرهما، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٣٩)، وانظر «الصحيحة» (٥٣٣).

جزاءً وفاقاً على أفعالهم القبيحة وأعمالهم السيئة.

فأقلِّوا أو استكثروا أيّها المغتابون بعد هذا من غيبتكم.

* عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كُنّا عند النّبيّ ﷺ، فقام رجل، فوقع فيه رجلٌ من بعده، فقال النّبيّ ﷺ: «تخلَّل[1]. فقال: وممَّ أتخلل؟! وما أكلتُ لحماً! قال: إنّك أكلت لحم أخيك»[2].

هذا شأن مجتمعنا اليوم يقع أحدُنا في الغيبة، ويقول بعدها: لم أغتب، لم آكل لحماً، لم أفعل شيئاً.

لماذا؟!

لأنّنا ذلّلنا ألسنتنا على كلّ هذا دون أن نعرف ما هي الغيبة!

فلنتفقّه في أمور ديننا.

---

(١) التخلُّل: هو استعمال الخلال لإخراج ما بين الأسنان. «النهاية».

(٢) أخرجه الطبراني، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٣٧)، وانظر «غاية المرام» (٤٢٨).

فلنتفقه في الحرام والحلال ـ ما استطعنا ولنميِّزْ ما يحلُّ من الكلام ممّا يحرُمُ منه[1].

تحريم استماع الغيبة

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **إنّ السَّمعَ والبَصَرَ والفؤادَ كُلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾[2].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ **وإمّا يُنْسِيَنَّكَ الشيطانُ فلا تَقْعُدْ بعْد الذِّكْرى مع القوم الظالمين** ﴾[3].

وقال ـ سبحانه ـ في حقّ عباده المؤمنين: ﴿ **وإذا سَمِعُوا اللَّغوَ أعرضوا عنه** ﴾[4].

وعن كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الحديث الطويل في قصة توبته؛ قال: قال النّبيّ ﷺ وهو جالسٌ في

---

(١) تسهيلاً لهذا المطلب الشرعي وفّقني الله ـ سبحانه وتعالى ـ لكتابة «حصائد الألسن» فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

(٢) الإسراء: ٣٦.

(٣) الأنعام: ٦٨.

(٤) القصص: ٥٥.

القوم بتبوك: «ما فعلَ كعبُ بن مالك؟ فقال رجلٌ من بني سَلِمة: يا رسول الله! حبسه بُرْداه ونظره في عِطفيه[1]. فقال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما عَلِمنْا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ»[2].

فوائد من هذه النصوص:

١ـ إنّ الْتفات الفؤاد والسَّمع للغيبة مسؤولية يُحاسب عليها المرء أمام الله ـ تعالى ـ.

٢ـ تحريم القعود مع المغتابين.

٣ـ إنّ الإعراض عن استماع الغيبة والقول القبيح من صفات المؤمنين.

وفي الحديث الذي يروي قصّة كعب ـ رضي الله عنه ـ يزيد على الإعراض عن الغيبة، بالردَّ عن عرض المسلم بذم كلام المغتاب، والقَدحِ في قوله، وذكر الرجل بما فيه من

---

(١) أي: جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه. قاله الكرماني.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري: ٤٤١٨، ومسلم: ٢٧٦٩.

الخير؛ فإنّ معاذاً ـ رضي الله عنه ـ قال للمغتاب: «بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً».

وفي الحديث: «من نصر أخاه بظهر الغيب؛ نصره الله في الدنيا والآخرة»[1].

هذه الأمور إذا فهمت، ووعاها القلب، لا يبقى بعدها مجال لِلَغْو لاغٍ، ولا لغيبة مغتابٍ.

ومَن نظَر لأكثر الناس اليوم؛ رآهم ضادُّوا هذه الأمور؛ فأنت ترى فيهم:

١ـ حسن الإصغاء للمغتاب القادح في الشخص المسلم.

٢ـ تلقّي الغيبة بالآذان، والاستمتاع القلبي[2] بذلك، متمنّين المزيد من سماع الأخبار السيِّئة عن ذلك الشخص.

٣ـ الزيادة على الإصغاء بذكر أخبار وصفات أخرى عن

---

(١) أخرجه الضياء في «المختارة» وغيره، وانظر «الصحيحة» (١٢١٧).

(٢) يكشف عن هذا المكنون كثير من القرائن الملموسة؛ منها: عدم ظهور الندم والتوبة، والاستمرار في هذه المعصية، وملاحظة السرور عند ذكر المغتاب.

أخيهم يكرهها.

٤ـ موافقة المغتاب على قوله، والثناء على كلامه، والقدْح في المسلم الغائب.

﴿ **ألا يَظُنُّ أولئك أنّهم مبعوثون لِيومٍ عظيمٍ يوم يقومُ النّاس لِربِّ العالمين** ﴾[1].

وصدق فيهم قول الشاعر:

لقد أسْمعتَ لو ناديتَ حيّاً

ولكن لا حياة لمنْ تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت

ولكنْ أنتَ تنفخُ في رمادِ

وأحسن منه قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ **وسواءٌ عليهم أأنْذَرْتَهم أمْ لمْ تُنْذِرْهم لا يُؤْمنونَ** ﴾[2].

---

(١) المطففين: ٤ـ٦.

(٢) يس: ١٠.

وممّا أنشدوه في تحريم سماع الغيبة:

وسمعَكَ صُنْ عنْ سماعِ القَبيحِ

كصَوْنِ اللسان عن النُّطقِ به

فإنّك عند سماع القَبيحِ

شريكٌ لقائِلِه فانْتَبِهْ

المستمع للغيبة والمغتاب سواء

تأمّل حديث أنس الذي ذكرته سابقاً[1]، وفيه: «فقال أحدهما لصاحبه: إن هذا ليوائم نوم بيتكم»؛ فقد كان القائلُ واحداً، أمّا الآخر؛ فقد كان سامعاً مُقرّاً، ومع ذلك؛ فقد قال النّبيّ ﷺ للسامع والقائل: «قد ائتدما»، وقال: «والذي نفسي بيده إني لأرى لحمهُ من أنيابكما».

ما جاء في ردِّ الغيبة ودفعها ونصر المسلم بالغيب

اعلم أخي المسلم ـ يرحمك الله ـ أنّه يتعيّن على مَنْ سَمِع

---

(١) تقدّم تخريجه في باب «كيف لُبِّس على الناس في الغيبة؟».

غيبة أخيه أن يردَّها وينهى قائلها؛ واضعاً نُصْبَ عينيه الحكمة والموعظة الحسنة؛ سالكاً في تغيير المنكر المراتبَ التي حدَّدها رسول الله ﷺ[1] قدر الاستطاعة، وأدناها تغيير المنكر بالقلب، ومن لوازمه وآثاره مفارقة المجلس.

ولنتدبَّرْ قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وإذا رأيتَ الذين يَخوضون في آياتنا فأعْرِضْ عنهم حتّى يَخوضوا في حديث غيره وإمّا يُنْسِيَنَّكَ الشيطان فلا تقعدْ بعد الذِّكرى مع القوم الظَّالمين**﴾[2].

فليحذر المتفكِّهون، وليحذر المستمتعون بالمعاصي، وليتقِ الله المتلذذون بالآثام؛ يأمرهم رسول الله ﷺ إذا سمعوا الغيبة أن يردّوها، وهم يأبون ذلك!

ويْحكم! ألا تفكّرون في مصيركم؟! ألا تفكّرون في نهايتكم؟! كأنّكم ما خُلِقْتُمْ إلا للخوض واللعب والمعاصي!

---

(١) كما في الحديث: «من رأى منكم منكراً؛ فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع؛ فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». أخرجه مسلم: ٤٩.

(٢) الأنعام: ٦٨.

أنبئوني بربكم هل أنتم مسلمون؟!

*عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «من ردَّ عن عِرض أخيه؛ ردّ الله عن وجهه النّار يوم القيامة»[1].

وعن أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ قالت: «قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من ذبّ عن عِرض أخيه بالغيبة؛ كان حقّاً على الله أن يُعتقَه من النار»[2].

ريح الذين يغتابون المؤمنين

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: كنّا عند النّبيّ ﷺ، فهبَّتْ ريحٌ مُنْتنة، فقال الرسول ﷺ: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريحُ الذين يغتابون المؤمنين»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: «حديث حسن»، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٤٨).

(٢) أخرجه أحمد وغيره، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «غاية المرام» (٤٣١).

(٣) أخرجه أحمد والبخاري في «الأدب المفرد»، وغيرهما، وحسنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٤٠). وانظر «غاية المرام» (٤٢٩).

عذاب المغتاب في القبر

عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما النّبيّ ﷺ يمشي بيني وبين رجل آخر؛ إذ أتي على قبرين، فقال: إنّ صاحِبي هذين القبرين يُعذَّبان، فأْتياني بجريدة.

قال أبو بكرة: فاستَبقْت أنا وصاحبي، فأتيتهُ بجريدة، فشقّها نصفين، فوضع في هذا القبر واحدة، وفي ذا القبر واحدة.

قال: لعله يخفّف عنهما ما دامتا رطبتين، إنّهما يعذّبان بغير كبير: الغيبة، والبول»[1].

المغتاب جبان ضعيف الشخصية

صاحب الغيبة جبان ضعيف الشخصية؛ لأنّه لا يستطيع المواجهة، ولا يقوى على المصارحة، ولو كان شجاعاً؛ لذكر المرء بما فيه أمامه، وبيّن له بالحسنى صفاته وأفعاله؛ كإخلاف الوعد، أوالتقصير في إكرام الضيف، أو طاعته زوجته فيما

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني في «الأوسط» وغيرهما، وحسنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٠).

يُغْضِبُ الله ـ تعالى ـ.

لماذا لا يكون الواحد منّا شجاعاً يواجه صاحب العيب بعيبه، فيكون مأجوراً مشكوراً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، محقّقاً في نفسه قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى اللهِ وعملَ صالحاً وقال إنَّني من المُسلمين** ﴾[1].

وأيضاً؛ يحسُّ المذنب بذنبه وتقصيره، ولكنّك إنْ قلت هذه الكلمات نفسها من خلفه؛ كنت مذموماً عند الله ـ تعالى ـ آكلاً لحم أخيك، وإنْ نُقِلَ الكلام لصاحبه؛ فما أضعف موقفك! ما أشدَّ حرجك!و ربّما تكذب وتقول: أنا لم أقلْ هذا.

فلتتخيّرْ بعد هذا أحبَّ الطريقين إليك، وكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلق له.

المغتاب ناقص الإيمان

أيّها المغتابُ! رويدك.

أما علمْت أنّك ناقص الإيمان؟!

---

(١) فصلت: ٣٣.

أما سمعتَ قول رسول الله ﷺ: «لا يؤمنُ أحدكم حتى يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»[1]؟!

أأحببت لأخيك ما أحببتَ لنفسك من الخير عندما اغتبته؟!

أتحبُّ أن يذكرك أحدٌ من خلفك بما تكره؟!

فكيف تفعلُ ما تكره أن يُفعل بك؟!

أما علمت أن هناك ارتباطاً بين الإيمان وترْك الغيبة؟!

تأمّل قوله ـ عليه السلام ـ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه»؛ فمن أحبَّ لأخيه ما أحبَّ لنفسه؛ فقد هُدي قلبه، ويُسِّرت له سبيل الإيمان، ومن لم يفعل ذلك، فلينظرْ في قوله ﷺ: «لا يؤمن».

لينظر، وليتدَّبر، وليتفكّر: أيَّ ثمن يدفع مقابل متعة الغيبة؟!

إنّه الإيمان ... الإيمان أغلى ما يملكه الإنسان.

---

(١) أخرجه البخاري: ١٣، ومسلم: ٤٥.

الغيبة تُعطِّل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لو كنّا صادقين في إسلامنا، مخلصين في أفعالنا؛ لرُحْنا نواجه من رأينا فيه عيباً، أو بدا لنا منه ذنبٌ أو قصور . . . نذكِّره ونأمره بالمعروف وننهاه عن المنكر.

وكلّما بدت منه مواقف غير صحيحة، أو جاء الشيطان يزّين لنا الغيبة ويحبِّبها إلى نفوسنا؛ كلّما تذكّرنا أنّ هذا الزين شَيْن، وأنَّ هذا المحبَّب عند نفس الأمّارة بالسوء بغيضٌ عند الله ـ تعالى ـ.

ولكن؛ قد يقول قائل: وأين المفرُّ من هذا القلب الذي يغلي قهراً من العوج والذنوب والعيوب؟! فلا بُدّ من الغيبة!

فلنعلم أنّ دين الله ـ تعالى ـ يُسْرٌ ورحمة؛ فإن هذا الغضب يمكن تصريفه لطاعةٍ وخلُق طيب.

فلتذهب أخي المسلم إلى هذا المذنب المقصّر، ولتُفرِّغ ما في صدرك عنده، على أن يكون ذلك ابتغاء وجه الله ـ تعالى ـ بالحكمة والموعظة الحسنة؛ مُبيِّناً له أنّك إنّما تفعل هذا لأنّك تحبُّ له ما تحبّ لنفسك، ولا تكتُمه النُّصح.

وعُدْ إليه في كلّ مرة يتكرّر منه العيب أو القصور، عُدْ إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وستكون بذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ من خير أمّةٍ أُخرجت للناس.

أما قرأتَ أخي قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **كُنْتُمْ خيْرَ أمَّةٍ أُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنْهَون عن المُنكر وتُؤمنون بالله** ﴾[1].

ولكنّك ترى معي ـ وللأسف ـ أنَّ الناس اليوم استبدلوا المعصية بالطّاعة، فراحوا ينفّسون عن أنفسم، ويشفون ما في أفئدتهم من غيظٍ على إخوانهم؛ فلا يجدون إلا الغيبة ملجأ يلجؤون إليه، ولبئس ما كانوا يفعلون.

ما يُباح من الغيبة

بعد أن تكلّمت في الغيبة ما شاء الله ـ تعالى ـ لي أن أتكلّم، أردتُ أن أُبيِّن ما يباح منها، وذلك من خلال الأدلّة الشرعية.

ولكنْ؛ ليحذَر الإنسان من خلال المباحات أن يُلبَّسَ عليه الشيطانُ، فيفتح عليه باب المحرّمات، فلا يزال لسانه

(١) آل عمران: ١١٠.

رطباً بالغيبة؛ فالمباح بقدر وحدود، ولا بدَّ أن يقترنَ كلُّ ذلك بنيَّة صحيحة، ليس فيها تشفٍّ لغيْظٍ، ولا رغبة بتشهير، وربُّنا ـ سبحانه ـ يعلمُ خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

وإليك الآن الأمور التي تُباح فيها الغيبة[1]:

١ـ التظلُّم: كالتظلُّم للسلطان والقاضي.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إنّ هنداً بنت عتبة قالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح[2]، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي؛ إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم؟

قال: «خذي ما يكفيكِ وولدك بالمعروف»[3].

وعن هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «قال رجل: يا رسول الله! إنَّ لي جاراً يؤذيني. فقال: انطلق فأخرج متاعك

---

(١) النقاط من (١ ـ ٧) استفدتها من «رياض الصالحين» للنووي، ثمّ شرحتُ ما رأيته لازماً وقرنتُ معه الأدلّة.

(٢) أي: بخيل حريص.

(٣) أخرجه البخاري: ٥٣٦٤، ومسلم: ١٧١٤.

إلى الطريق. فانطلقَ، فأخرج متاعه، فاجتمعَ النّاس عليه، فقالوا: ما شأنُك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرتُ للنّبيّ ﷺ، فقال: انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق. فجعلوا يقولون: اللهمّ العنْهُ، اللهمَّ أخزه، فبلغه، فأتاه، فقال: ارجِعْ إلى منزلك؛ فوالله لا أوذيك»[1].

٢ـ الاستفتاء: كأنْ يقول للمفتي: ظلمني أخي، أو فلان؛ فما طريقي إلى الخلاص؛ كما في الحديث السابق.

٣ـ الاستعانةُ على تغيير منكر أو رفْع بلاءٍ عن مسلم.

لحديث هند السابق.

٤ـ تحذير المسلمين ونُصْحهم من أصحاب الشر وممّن يضرّ بالمسلمين.

ومنها جرح المجروحين من الرُّواة والشُّهود، وذلك للذبّ عن حديث رسول الله ﷺ.

عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرجنا مع

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الأدب المفرد» (٩٢): «حسن صحيح»، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٥٩).

رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدّة، فقال عبدالله ابن أُبيّ لأصحابه: لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا[1] من حوله. وقال: لئِنْ رجعْنا إلى المدينة؛ ليُخْرجنَّ الأعزُّ منها الأذلّ.

فأتيتُ النّبيّ ﷺ، فأخبرته بذلك، فأرسَلَ إلى عبدالله بن أُبيّ فسأله، فاجتهد يمينَه ما فعل، قالوا: كذب زيدٌ رسول الله ﷺ.

قال: فوقع في نفسي مما قالوا شِدّة، حتى أنزل الله تصديقي في: ﴿إذا جاءك المُنافقون﴾. قال: فدعاهم النّبيّ ﷺ ليستغفر لهم فلَوَّوا رؤوسهم[2]»[3].

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المسألة[4]: «ومما يدّل على ذلك دلالةً بيّنة ما ورد في

---

(١) أي: يتفرّقوا.

(٢) «لووا رؤوسهم»؛ أي: أمالوها إعراضاً ورغبة عن الاستغفار.

(٣) أخرجه البخاري: ٤٩٠٣، ومسلم: ٢٧٧٢.

(٤) كتاب «رفع الريبة» (ص٢٧) بتحقيق الأخ: محمد إبراهيم الشيباني ـ جزاه الله خيراً ـ.

النّصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم وخاصّتهم؛ فإنّ بيان كذب الكذابين من أعظم النصيحة الواجبة لله ولرسوله ولجميع المسلمين».

وممّا قاله أيضاً: «وكذلك جرْحُ من شهدَ في مالٍ أو دمٍ أو عرض بشهادة زورٍ، فإنها من النصيحة التي أوجبها الله على عباده، وأخذهم بتأديتها، وأوجب عليهم القيام بها».

وعن الشّريد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيُّ الواجِدِ يحلُّ عرضه وعقوبته»[1].

قال ابن المبارك: «يحلُّ عرضه: يغلِّظ له. وعقوبته: يُحبس له».

قال المُناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في «فيض القدير» في شرح هذا الحديث: «(ليّ الواجد)؛ أي: مَطْل الغني، و(اللَّيُّ)؛ بالفتح: المطْلُ. و(الواجد): الغنيُّ؛ من الوُجد ـ بالضم ـ بمعنى السّعة والقدرة، ويُقال: وجد في المال وجداً؛

---

(١) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٣٠٨٦) والنسائي وابن ماجه وغيرهم، وحسنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الإرواء» (١٤٣٤).

أي: استغنى. (يُحِلّ): من الإحلال. (عرضه): بأن يقول له المدين أنت ظالم، أنت مُماطل، ونحوه مما ليس بقذفٍ ولا فُحْش. و(عقوبته): بأن يُعَزِّره القاضي على الأداء، بنحو ضربٍ أو حبسٍ حتى يؤدّي».

٥ـ المشاورة في أمور الزواج أو المشاركة أو المجاورة، ونحو ذلك.

لقول النّبيّ ﷺ لفاطمة بنت قيس ـ في استشارتها من خِطبة معاوية وأبي الجهم حين خطباها ـ: «أمّا أبو جَهْم؛ فلا يضَع عصاه عن عاتقه[1]، وأمّا معاوية؛ فصعلوك[2] لا مال له»[3].

وفي الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «حقّ المسلم على المسلم ست». قيل: ما هُنّ يا رسول الله؟ قال: إذا لَقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك

---

(١) فيه تأويلان مشهوران: أحدهما: أنه كثير الأسفار. والثاني: أنه كثير الضرب للنساء. والعاتق: هو ما بين العنق إلى المنكب.

(٢) الصُّعلوك: فقير.

(٣) أخرجه مسلم: ١٤٨٠.

فانصح له ...»[1].

٦ـ ذِكر المجاهر بالذنب بما فيه، أو صاحب البدعة ببدعته.

ولا يذكره بغيره من العيوب إلا لحالٍ مما سبق ذِكره.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنّ رجلاً استأذن على النّبيّ ﷺ، فقال: «ائذنوا له؛ بئس أخو العشيرة»[2].

احتجّ به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الريب[3].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أيضاً قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما أظنّ فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا شيئاً»[4].

قال الليث: كانا رجلين من المنافقين.

٧ـ التعريف إن كان الإنسان معروفاً بلقب معين؛

---

(١) أخرجه مسلم: ٢١٦٢.

(٢) أخرجه البخاري: ٦٠٥٤، ومسلم: ٢٥٩١.

(٣) بقوله: «باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والرّيب».

(٤) أخرجه البخاري: ٦٠٦٧.

كالأعرج، والأصمّ، والأعمى، ونحو ذلك.

ولا يحلُّ إطلاقه على وجه التحقير والتنقيص، وإن أمكن تعريفه بغير ذلك؛ فهو أفضل وأولى.

عن أُسيْر بن جابر أنّ أهل الكوفة وفَدوا إلى عمر - رضي الله عنه - وفيهم رجل ممّن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل ها هنا أحد من القَرَنِيِّين[1]؟

فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إنّ رسول الله ﷺ قد قال: «إنّ رجلاً يأتيكم من اليمن، يقال له: أُويس، لا يَدَع باليمن غير أمٍّ له، قد كان به بياض[2]، فدعا الله فأذهبه عنه؛ إلا موضع الدّينار أو الدّرهم، فمن لقيه منكم؛ فليستغفر لكم»[3].

قال الإمام الشوكاني[4] - رحمه الله تعالى -: «فإن قلت: فإن كان صاحب اللقب لا يُعرفُ إلا به، ولا يعرف بغيره

---

(١) نسبة إلى قبيلة قرن.

(٢) أي: برص.

(٣) أخرجه مسلم: ٢٥٤٢.

(٤) «رفع الريبة» (ص٣٣).

أصلاً؟ قلت: إذا بلغ الأمر إلى هذه النّهاية، ووصل البحث إلى هذه الغاية؛ لم يكن ذلك اللقب لقباً، بل هو الاسم الذي يُعرف به صاحبه؛ إذ لا يُعرف باسم سواه قطّ».

وجاءت هذه الأغراض الشرعية منظومة شعراً في بيتين:

القدحُ ليس بغيبةٍ في ستةٍ متظلّمٍ ومعرِّفٍ ومحذِّرِ
ومجاهرٍ فسقاً ومستفتٍ ومنْ طلبَ الإعانة في إزالة مُنكرِ

الأمور التي ينبغي مراعتها عند الغيبة المباحة

١ـ الإخلاص لله في النّية:

فَمن ذكر شخصاً بشيء فيه، ولم يذكره إزالةً لمنكر، وإنّما للنيل منه، أو التنقيص؛ فهو آثم؛ كرجل كان يستشير آخر في أمر زواج، فقال ما فيه، لا لإظهار الحقّ، وإنما حسداً من عند نفسه؛ كيلا يُوفَّق في الزواج من تلك الفتاة؛ فهذا حرام، وأمثال هذه الصُّور كثيرة.

٢ـ أن تذْكر أخاك بما فيه، إن كان في ذلك تحقيق مصلحة من المصالح المتقدّمة، ولا تفتح لنفسك الباب لتذكر كلّ العيوب الأخرى.

٣ـ التأكّد أنّ من وراء هذه الغيبة لا تتحقّقُ مفسدة أكثر من الفائدة، ولا تقع فتنة تضرُّ بالمسلمين.

التوبةُ من الغيبة

اعلم أخي المسلم أنَّ التوبة من الغيبة واجبةٌ، فسارع بالإنابة لله ـ تعالى ـ والتوبة له، فإنّه لا يغفر الذنوب إلا هو ـ سبحانه ـ.

واعلم أنّ شروط التوبة[1] من الغيبة أربعة:

الأول: أن يقلع المغتابُ عن غيبته.

الثاني: أن يندم على فِعْلها.

الثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

الرابع: أن يستحلَّ أخاه من الغيبة ويطلب منه الاستغفار.

فإنْ خشي حصول مفسدة من هذا؛ فإنّه يتجنّبه، ويكتفي بالدُّعاء له.

---

(١) الشروط الثلاثة عامّة للتوبة من أي ذنب يتعلّق بحقّ الله ـ سبحانه ـ وانظر: «رياض الصالحين» (باب التوبة).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير سورة الحجرات: « ... وقال آخرون: لا يشترط أن يتحلّله؛ فإنّه إذا أعلمه بذلك، ربما تأذّى أشدَّ ممّا إذا لم يعلم بما كان فيه».

وتعليقاً على كلام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ «قال العلماء ... وإن كان غيبةً استحلّه منها» ـ قال شيخنا الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ[1]:

«هذا إذا لم يترتّب على الاستحلال نفسه مفسدة أخرى، وإلا فالواجب حينئذ الاكتفاء بالدعاء له».

أمور لا تُظنُّ أنّها غيبة وهي غيبة

١ـ قد يذكر المرء أخاه بما يكره، وإذا نهيتهُ عن ذلك؛ قال: «أنا على استعداد للقول أمامه».

ويردٌّ على هذا من وجوه:

الأول: أنّك ذكرته من خلفه بما يكره بما فيه، وهذه هي الغيبة.

الثاني: استعدادك للحديث أمامه أمر آخر مستقلّ، لم

---

(١) في «رياض الصالحين» (باب التوبة).

يرِدْ دليل فيه على أنه يُسوّغ لك أن تذكر أخاك من خلفه بما يكره.

الثالث: ليس هناك ما يدعو لذْكره من خلفه، طالما التكلّم أمامه ممكن، ولا يكون دافع هذا إلا الهوى.

الرابع: ليس بيدك ضمان عفوِه عمّا ذكرته من خلفه.

الخامس: من خلال الواقع الذي نعيشه يُلمس أنّ الاستعداد للقول أمام الشخص بما فيه ممّا يكره؛ ادعاءٌ ليس صحيحاً، بل هو من تلبيس الشيطان لتسويغ الغيبة التي وقعت.

٢ـ قول القائل في جماعة من الناس عند ذكر شخص ما: «الحمد لله الذي لم يْبتلنا بالدخول على السلطان»، أو «نعوذ بالله من قلّة الحياء»، أو نحو هذا؛ فإنّه يجمع بين ذمّ المذكور، ومدْح النفس[1].

٣ـ قول القائل: فعَل كذا بعض الناس، أو بعض الفقهاء، أو بعض من رأيناه، أو نحو ذلك، وإذا كان المخاطب يفهمه

---

(١) من «مختصر منهاج القاصدين» مع بعض الحذف.

بعينه؛ لحصول التفهيم[1].

٤ـ وربما سُئل شخص عن حال أخيه؟ فيقول من سُئل: الله يصلحنا، الله يغفر لنا، الله يصلحه، نسأل الله العافية، نعوذ بالله من الشر، وما أشبه ذلك مما يُفهم منه تنقّصه.

٥ـ وكذلك إذا قال المرء: فلان ابتُلي بما ابتلينا به كلّنا، أو ما له حيلةٌ في هذا. كلّنا نفعله.

٦ـ قول الشخص: حضرة الأفندي! جناب السيد! ونحو ذلك إن كان يقصد التنقّص منه.

٧ـ قول المرء: هذا صغير تجوز غيبته.

وهذا كلام غريبٌ عجيب، نطلبُ الدليل على جوازه؛ فإنّ الأدلّة في تحريم الغيبة جاءت مطلقة، فتظلُّ على إطلاقها، فتشمل: الكبير والصغير، والذَّكر والأنثى، والغني والفقير.

ولم لا يقولون: «إنّ الصغير إذا اغتاب الكبير لا يؤثم»[2]؟

---

(١) النقاط من (٣ ـ ٥) من كتاب «الأذكار» للنووي ـ رحمه الله تعالى ـ (باب بيان مهمات تتعلّق بحد الغيبة).

(٢) لا يعني هذا تشجيع الصغير على الغيبة، بل علينا أنْ =

لِمَ لا يتذكّرون قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن النّائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصّبيّ حتى يكبر»[1]؟

وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيّ حتى يحتلم»[2].

٨ـ وربّما فتح الله ـ تعالى ـ على أحدهم في أمرٍ بالمعروف أو نهي عن منكر في موقف صعب لا يستطيعه أي شخص، واستجاب ذلك الشخص للأمر أو النّهي استجابةً يبدو فيها الصدق والإخلاص، ويظهر من صاحبها العزم الشديد على التوبة، ولكنَّ ذلك الناصح ربّما ضعُف أمام الشيطان، فراح يحكي قصّته أمام الناس: فلان فعَل كذا وكذا، فلان صنع كذا وكذا، ونصَحْته بكذا.

= نعلّمه ونُربيّه على ترك المحرّمات.

(١) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٣٦٩٨) وابن ماجه وغيرهما، وهو في «الإرواء» (٢٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٣٧٠١) وغيره، وهو في «الإرواء» تحت رقم (٢٩٧).

أيُّ دافعٍ غير الهوى وحُبّ الغيبة دفع هذا الشخص لنقل هذا أمام الناس؟!

أو ليس هدَف الآمر بالمعروف والنّاهي عن المنكر أن ينشر المعروف بين الناس، وأن يقضي على المنكر؟!

فلِمَ إذن الكلام والتعليق بعد أن تحقق الهدف؟!

أم انقلب الآمر مأموراً للشيطان، والنّاهي واقعاً في المناهي؟

٩ـ التّساهل في غيبة العاصي.

وهذا فيه كلام؛ فإنّه لا يصحّ على إطلاقه؛ فليس كل من يقع في المعصية تجوز غيبته، وإلا جازت غيبةُ كل المسلمين، فما من مؤمن إلا وله ذنب، وحديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يؤكّد هذا.

يقول ﷺ: «ما مِنْ عبدٍ مؤمن؛ إلا وله ذنبٌ يَعْتاده الفينَة بعد الفينة، أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا؛ إنّ المؤمن خُلق مُفْتناً[1]، توّاباً، نسّاءً، إذا ذُكِّر

(١) أي: مُمتحَناً؛ يمتحنه الله بالذنب ثمّ يتوب، ثمّ يعود، ثمّ يتوب. «النهاية».

ذكَر»[1].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ ابن آدم خطّاء، وخيرُ الخطّائين التّوّابون»[2].

وكيف اطمأنّ هؤلاء لغيبة العاصي مطلقاً؟!

وما هو تفسيرهم كلمة (أخاك) في قوله ﷺ: «الغيبة ذِكْرُك أخاك بما يكره»[3]؟

ألا يدخل ضمن (أخاك) المطيع والعاصي؟!

كيف لا ورسول الله ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذُلُه، ولا يحقره. التقوى ها هنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحَسْب امرىء من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسُلم حرام؛ دمه، وماله، وعِرضه»[4].

---

(١) أخرجه الطبراني، وانظر «الصحيحة» (٢٢٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما، وحسنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩).

(٣) تقدّم.

(٤) أخرجه مسلم: ٢٥٦٤.

ونسأل هؤلاء المتساهلين: أدم المسلم العاصي حلال؟ أم ماله؟ فلماذا لا يكون عِرضه كذلك حراماً وقد جاء العِرض معطوفاً على المال والدّم؟!

١٠ـ قول القائل: هذا هندي، أو مصري، أو فلسطيني، أو عجمي، أو عربي، أو بدوي، أو قروي، أو إسكاف، أو نجار، أو حداد[١]؛ إنْ قاله لحظّ من حظوظ النّفس، وهو نفسه يكره أن يُقال عنه ذلك.

وضابط هذا كلّه: «ذكرك أخاك بما يكره».

من مساوىء التّساهل في غيبة العاصي

١ـ الصدُّ عن الهدى، وعدم قبول النّصيحة، وكُره الدّعاة إلى الله ـ تعالى ـ.

وهذه الغيبة غالباً ما تكون من قِبل أهل المساجد، والدّعاة إلى الله ـ تعالى ـ للأسف؛ فإنهم حين يرون عاصياً من العصاة وقعوا فيه، وإنّ هؤلاء العصاة بعد أن سمعوا غيبتهم قد أعلنوا الكراهية والبغض لمن اغتابهم، وصرّحوا بفقدهم

---

(١) عن كتاب «الأذكار» للنووي ـ رحمه الله ـ (باب تحريم الغيبة والنميمة) بتصرف وحذف.

الثقة بهم.

إنّه لمن الجدير بالدّعاة إلى الله ـ تعالى ـ وأهل المساجد وروّاده، أن ينظروا لهؤلاء العصاة نظرة إشفاقٍ وعطف، وأن ينشطوا في دعوتهم؛ آخذين بيدهم؛ بالحكمة والموعظة الحسنة، لعلّهم يهتدون؛ فكم من المشركين والملحدين والعصاة كانوا يعيثون في الأرض فساداً، فهداهم الله ـ تعالى ـ وأصبحوا من خيار الناس وأحاسنهم أخلاقاً، والتّاريخ على مرّ أيّامه يشهد على ذلك.

٢ـ تعذُّر الإصلاح بين المتخاصمين.

لعلّ أحدهم وقع في غيبة أخيه، فسمع الآخر ذلك، فراح يغتابه انتقاماً، فيسمع الأولُ غيبته في أمرٍ آخر، فيكيد له كيداً، ولا يذر شيئاً فيه ممّا يكرهه؛ إلا وسعى في نشره، وكذا يفعل الثاني، فتسوءُ العلاقة بينهما، ويتقدّم المصلحون للإصلاح بينهما، فما تكون حجّةُ أيٍّ منهما إلا أن يقول: لقد قال عنّي كذا وكذا، لا يمكن أن نلتقي أبداً.

إنّها طعنات في القلوب أفسدت المحبَّة بينهما؛ كان سببها الهوى.

وكم تتكرّر هذه المصائب والمآسي في أمّتنا!

كم من العلاقات الطّيبة لمثل هذا قد فَسَدَت!

وكم من القلوب المتآلفة بعد هذه الضلالة قد اختلفت!

أما آن لهذه القلوب أن تخشع، ولهذه العيون أن تدمع، ولهذه الغيبة أن تُقطع؟!

احذر غيبة الأخرق[1]

عجيب وعجيب جداً أن نترك إعانة الأخرق، وأعجب من هذا أن نؤذيه بالغيبة.

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله، قال: قلت: أيُّ الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً. قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تُعينُ صانعاً، أو تصنعُ لأخرق. قال: قلت: يا رسول الله! أرأيت إنْ ضعُفْتُ عن بعض العمل؟ قال: تكفُّ شرّك عن الناس؛ فإنها صدقة منك على نفسك»[2].

---

(١) الأخرق: هو الذي لا يُتقن ما يحاول فِعْله وصُنعه.

(٢) أخرجه البخاري: ٢٥١٨، ومسلم: ٨٤، واللفظ له.

لقد بيّن رسول الله ﷺ أفضل الرّقاب، وبيّن ـ عليه الصّلاة والسلام ـ سبيل الخير لمن لم يُعتِقْ، وهو إعانة الأخرق.

ولكنّنا ـ مع الأسف ـ لا نترك الأخرق يَسْلَمُ من شرور ألسنتنا، نعيبُه، ونغتابه، ونتّخذ أفعاله هزواً.

أشدّ من الغيبة

ومن المصائب التي ابتُليت بها أُمتنا: أنّك ترى الإنسان يغتاب أخاه؛ لا لذنب أو لعيب، وإنما هو تحريم وتحليل بعض العادات والتقاليد.

ومن الأمثلة على ذلك أنّ إنساناً قد يدعو أخاه إلى طعام، وقد يدعو اثنين أو ثلاثة، فيعتب أحد إخوته عليه، ويَجِدُ عليه، ويأخذه بلسانه؛ واقعاً فيه؛ لأنّه لم يدْعُه.

وكلُّ ذلك من الجهل وعدم التفقّه في الدّين؛ فأين الأدلّة التي توجب عليه دعوة هذا كلما فكّر في دعوة طعام؟!

وإنْ شئت أدلّةً على تحريم هذا العمل؛ فهي كثيرة، ولكنْ ليس معه من شيء إلا الهوى.

بل إنّ المرء ربّما فعل ما هو جيد محبَّب في الشرع، وتتناوله ألسنة كثيرٍ من المغتابين.

فمثلاً؛ قد يتواضع شخصٌ في لباسه، ويزهد فيه، مع قدرته عليه، وكلّما رآه جاهل؛ قال: انظروا إلى هذا البخيل! انظروا إلى هذا الذي يحْرِم نفسه زينة الحياة الدنيا! انظروا إلى هذا الذي أمات علينا ديننا!

أين هؤلاء من قوله ﷺ: «من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه؛ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يُخيَّرَ من أي حُلَلِ الإيمان[1] شاء يلبسها»[2].

حقيقٌ بنا أن نُحبَّ هذا الشخص في الله ـ تعالى ـ طالما رأينا تواضعه الدائم وحسن خلقه.

ولنعلمْ أولاً لماذا فعل هذا، ثمّ نفكّر ونتدبّر: أيحلُّ لنا أم يحرم أن نُغلظ فيه القول، وأن نقول عنه: أماتَ علينا ديننا؟!

---

(١) حُلل الإيمان: أي: ما يعطى أهل الإيمان من حُلل الجنَّة، والله أعلم.

(٢) أخرجه الترمذي والحاكم وأحمد وغيرهم، وانظر «الصحيحة» (٧١٨).

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يدعوه يوم القيامة، على رؤوس الخلائق، حتى يُخيره من أيّ حُلَل الإيمان شاء يلبسها.

وكيف يكون حالك أنت يوم القيامة؟! إنّك آكلٌ لحماً، مغتاب لمؤمن، نادم، خائفٌ، مدين.

غِيبةٌ بغير اللّسان

عَهْدُنا بالغيبة أن تقع من اللسان، ولكنّها قد تقع بغيره: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ويلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[1].

وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: «قُلت للنّبيّ ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا ـ تعني قصيرة ـ فقال: لقد قلتِ كلمة؛ لو مُزِجَت بماء البحر؛ لمزجته»!

قالت: وحكيتُ له إنساناً[2]، فقال: «ما أُحِبُّ أنّي

---

(١) الهمزة: ١.

وجاء في «تفسير ابن كثير»: «الهمّاز بالقول: واللماز بالفعل، وقال ابن عباس: همزة ولمزة: طعان معياب. وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمزه في وجهه، واللمزة: من خلفه، وقال مجاهد: الهمزة باليدين والعين، واللمزة باللسان».

(٢) أي: فعَلْت مِثل فعله، وأكثر ما يستعمل في القبيح =

حكيت إنساناً وأنّ لي كذا وكذا»[1]. قال النووي: «... وكذا سائر ما يُتوصّلُ به إلى فهْم المقصود، كأن يمشي مشيته؛ فهو غيبة، بل هو أعظم من الغيبة ... لأنّه أبلغ في التصوير والتفهيم وأنكرُ للقلب»[2].

فليتَّق الله ـ تعالى ـ أقوام يفعلون هذا، يُقلِّدون المشي والأكل وأسلوب التكلّم؛ تفكُّهاً وسخرية واستهزاءً.

وأدهى من ذلك وأمَرّ؛ ما هو شائع هذه الأيام ممّا يُسمّى بـ(الأفلام الكوميدية)؛ فإنّ الرجل فيها يوظِّف حركاته في تقليد شخص ما، كي يُدْخِلُ السرور في نفوس الناس؛ غير مبالين بالعاقبة الوخيمة التي تجرُّها هذه المعاصي، ومنها: تربية الأبناء تربية غير لائقة، وتخريج الأجيال المستهترة المستهزئة التي لا تحمل هموم الأمّة ولا تسأل عن شؤونها.

وهذه (الأفلام) ـ وللأسف ـ منتشرة انتشاراً واسعاً سواء

= المحاكاة. «النهاية».

(١) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٨٠) وغيره، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «غاية المرام» (٤٢٧)، وتقدّم بعضه.

(٢) «الزواجر» لابن حجر الهيتمي (٢/١٧).

كان ممّا يسمّى (دور السينما) أو (التلفزيون) أو (الفيديو)، أو (أجهزة الكمبيوتر) هدانا الله ـ تعالى ـ سواء السبيل.

مجاهدةُ الغيبة مِن أفضل الجهاد

يستغرب كثيرٌ من الناس، عندما يسمعون أنّ مجاهدة الغيبة من أفضل أنواع الجهاد، ويزول هذا العجب عندما يسمعون كلام رسول الله ﷺ إذْ يقول: «المجاهدُ منْ جاهد نفسه في طاعة الله»[1].

وقوله ﷺ: «أفضل الجهاد: أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله ـ عزّ وجلّ ـ»[2].

فالاشتغال بمنع الغيبة جهاد، بل من أفضل أنواع الجهاد.

إنّ جهاد أعداء الله ـ تعالى ـ قد يكون في فترة محدودة من عمر الإنسان، وأمّا جهاد النفس؛ فلا ينتهي إلا بانتهاء الأجل؛ كما أنّ جهاد الأعداء لا يُقبل من المسلم؛ إلا

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد، وانظر «الصحيحة» (٥٤٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» والديلمي وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٤٩٦).

بمجاهدته الرياء والحميّة وحظوظ النّفس.

إنّه من المتعيِّن على كلّ مسلمٍ أن يجاهد نفسه، ويمنعها عن الغيبة، وأن يقيم دولة الإسلام في قلبه، حتّى تقوم على الأرض. ﴿ **ويومَئذٍ يفْرح المؤمنون بنصر الله يَنْصُرُ من يشاءُ وهو العزيزُ الحَكيم** ﴾[1].

أقوال طيّبة في ذمّ الغيبة

١- يُروى عن الحسن البصريّ - رحمه الله -: أنّ رجلاً قال له: إنّك تغتابني. فقال: «ما بلغ قدْرُكَ عندي أن أُحكِّمكَ في حسناتي».

٢- وقيل لأحدهم: إنّ فلاناً قد اغتابك. فبعث إليه طبقاً من الرُّطَب، وقال: «بلغني أنّك أهديت إليّ حسناتك، وأردتُ أن أكافئك بها، فاعذرني، فإنّي لا أقدر أن أكافئك بها على التّمام».

٣- وروي عن ابن المبارك - رحمه الله -: أنّه قال: «لو كنتُ مغتاباً أحداً، لاغتبتُ والديَّ؛ لأنهما أحقُّ بحسناتي».

٤- «الغيبة ضيافةُ الفُساق».

---

(١) الروم: ٤ - ٥.

٥ـ عن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: أنّه مرَّ على بغل ميت، فقال لبعض أصحابه: «لأن يأكل الرجلُ من هذا حتّى يملأ بطنه؛ خيرٌ له من أن يأكل لحم رجل مسلم»[1].

٦ـ وذَكَر رجلٌ آخر بسوءٍ أمام صاحبه، فقال له: «هل غزوتَ الرُّوم؟». قال: لا. قال: «هل غزوت التّرك؟». قال: لا. قال: «سلِمَ منك الرّومُ، وسلِمَ منك التركُ، ولم يسلَمْ منك أخوك المسلم!».

٧ـ إنْ ضعفتَ عن ثلاث؛ فعليك بثلاث: إنْ ضعفتَ عن الخير؛ فأمسكْ عن الشرِّ، وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس؛ فأمسك عنهم ضُرّكَ، وإنْ كنتَ لا تستطيع أنْ تصوم؛ فلا تأكل لحوم الناس».

٨ـ قال الشاعر:

المرءُ إنْ كان عاقلاً ورعاً

أشغلَهُ عن عُيوب غيره ورَعُه

---

(١) هذا القول ثابت عن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ وقد صححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٣٨).

كما العليلُ السَّقيمُ أشغَلَهُ

عن وجع النّاس كُلهِم وجعُه

فرغت من إعادة النظر فيه وتصحيحه في عمّان ضحى يوم ١٣ محرم ١٤٢٣ هـ.

وكتب:

حسين بن عودة العوايشة

الفهرس

مقدمة الطبعة الأولى ٥

المقدّمة ٧

من النصوص الدالة على تحريم الغيبة ٩

ما هي الغيبة ١٠

الإجماع على تحريم الغيبة، وأنّها من الكبائر ١٠

كيف لُبِّس على الناس في الغيبة ١٢

من الأسباب الباعثة على الغيبة وعلاجها ١٦

تأمّلات في أحاديث تُرهِّب من الغيبة ٢٣

تحريم استماع الغيبة ٢٩

المستمع للغيبة والمغتاب سواء ٣٣

ما جاء في رد الغيبة ودفعِها ونصر المسلم بالغيب .. ٣٣

ريح الذين يغتابون المؤمنين ٣٥

عذاب المغتاب في القبر ٣٦
المغتاب جبان ضعيف الشخصيّة ٣٦
المغتاب ناقص الإيمان ٣٧
الغيبة تعطّل الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ٣٩
ما يباح من الغيبة ٤٠
الأمور التي ينبغي مراعتها عند الغيبة المباحة ٤٨
التوبة من الغيبة ٤٩
أمور لا تُظنُّ أنها غيبة وهي غيبة ٥٠
من مساوىء التساهل في غيبة العاصي ٥٦
احذر غيبة الأخرق ٥٨
أشدُّ من الغيبة ٥٩
غيبة بغير اللسان ٦١
مجاهدة الغيبة من أفضل الجهاد ٦٣
أقوال طيبة في ذمِّ الغيبة ٦٤
الفهرس ٦٧